يقول **الشيخ نديم الجسر** : " وعلى غرار هذين المثالين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخرا من وجود مادة هرمونية في البول تسمى " يوروغاسترون .. " وأخرى تسمى " انثلون " تنفعان في مرض قرح المعدة ، كما ذكر **الدكتور ميشال** ــ أستاذ الأمراض الباطنية بطب عين شمس ــ في مبحث " قرح المعدة " من كتاب أمراض الجهاز الهضمي المؤلف بالإنجليزية ــ المطبوع ١٩٦٣م ص٤٦ ــ وقد تمكنت شركة " بارك ديفز " الإنجليزي الشهيرة من صنع علاج يسمى " كورتون " يحتوي على هذه الهرمونات البولية . " (٨٣)

وهكذا نجد من هذه الأمثلة التي ذكرناها أن ما وصفه الرسول ﷺ من علاج منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام لازال يستعمل إلى الآن ، وما زال صالحا في عصرنا الحاضر ، كمثال التبريد بالماء للمحموم ، والتداوي بعسل النحل ، وكذلك بالأبوال على صورتها العلمية الحديثة ، بالإضافة إلى وصفات النبي ﷺ الطبية الأخرى كالتداوي بالحبة السوداء(٨٤) حيث قال ﷺ : " **في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام** ." (٨٥) أي الموت ، والحبة السوداء : الشونيز .

وكالتداوي بالعود الهندي وهو الكست ، فقد ورد عنه ﷺ التداوي به حيث روى مسلم في صحيحه عن أم قيس بنت محصن أخت عكاشة بن

(٨٣) الشيخ نديم الجسر ــ مقال بمجلة الوعي الإسلامي العدد ٢١ص٢٥ ــ ١٣/١٢/١٩٦٦م.

(٨٤) الحبة السوداء : تعرف باسم الشونيز : نبات قديم العهد عظيم النفع ، له شأن وقيمة عن العامة ، اسمه النباتي نيجلا نسبة للون بذوره السوداء ، وينبت في جهات معتدلة ــ دائرة معارف القرن العشرين ١٥٦/٤ .

(٨٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ ــ راجع صحيح البخاري ١٠/٤ ط الحلبي ، ورواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﷺ ك السلام باب التداوي بالحبة السوداء ج٢/٢٨٤ .

محصن قالت : دخلت بابن لي على رسول الله ﷺ لم يأكل الطعام فبـــال عليه فدعا بماء فرشه ، قالت : ودخلت عليه بابن لي قد أعلقت عليه مـــن العذرة فقال : **علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق** (٨٦) **عليكن بهذا العـــود الهندي** (٨٧) **فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب يسعط من العذرة ويلد من ذات الجنب** . " (٨٨)

ومثل ما ذكره لسيدنا علي ــ كرم الله وجهه ــ عندما رمد عينه وقـد رآه يأكل من الرطب فنهاه ، حيث قال له : " **لا تأكل من هذا ــيعني الرطـب ــ وكل من هذا فإنه أوفق بك** " يعني سلقا قد طبخ بدقيق وشعير . (٨٩)

وقوله **لصهيب بن سنان** ﷺ وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين :

" **أتأكل تمرا وأنت أرمد** ؟ فقال : **إني آكل من الجانب الآخـــر** ، فتبســم رسول الله ﷺ . (٩٠)

---

(٨٦) يقال : أعلقت عن الصبي أزلت عنه العلوق وهي الآفة والداهية ، والإعلاق هو معالجـة عذرة الصبي وهو وجع حلقه ــ راجع الهامش على متن صحيح مسلم ج٢/٢٨٣ ط الحلبي .

(٨٧) نوع من البخور معروف .

(٨٨) رواه مسلم في صحيحه بسنده ك السلام باب التداوي بالعود الهندي والكست ج٢/٢١٣ ، ويلد من ذات الجنب : الوجع الذي يكون في الجنب المسمى بالشوصة ــ هامش صحيح مسلم ٢/٢١٣.

(٨٩) أخرجه الترمذي عن أم المنذر قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ومعه علي ــ كرم الله وجهـه ــ ولنا دوال معلقة ، قالت فجعل رسول الله ﷺ وعلي معه يأكل ، فقال رسول الله ﷺ لعلي : مه يا علي فإنك ناقه ، قالت : فجلس علي والنبي ﷺ يأكل ، قالت : فجعلت لهم سلقا وشعيرا فقال النبي ﷺ : " يا علي من هذا فأصب فإنه أوفق لك . " ــ راجع سنن الترمذي ٤/٣٨٢ ط الحلبي .
والدوالي : جمع دالية وهي العزق من البسر يعلق ، فإذا أرطب أكل ــ أحكام المـرض ــ تـاج الديـن الحنفي ص٣٥٨ .

(٩٠) رواه ابن ماجه في سننه عن صهيب ﷺ ٢/١١٣٩ ط الحلبي ، وحول التعليق علـى الحديـث راجع الطب النبوي لابن القيم ص٨٣ .

إلى غير ذلك من هديه ﷺ في علاجه لبعض الأمراض ، وقد بلغت درجة أن كتب العلماء في ذلك كتبا وأسموها " **الطب النبوي** " [٩١] ذكروا فيها ما ورد عن الرسول ﷺ في هذا الأمر ، كما ذكروا فيها بعضا مما ذكره الله من الطيبات من الطعام في علاج بعض الأمراض مثل ما في التين وغيره ، حيث جاء في **تفسير البيضاوي** في سورة " التين " : " إن التين فاكهة طيبة لا فضل له ــ أي لا فضلات ولا بقايا له ــ وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع ، فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ، ويطهر الكليتين ، ويزيل رمل المثانة ، ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ، وإنه يقطع البواسير ، وينفع من النقريس [٩٢] ، والزيتون فاكهة وإدام ودواء ، وله دهن لطيف كثير المنافع ... " [٩٣]

إلى غير ذلك مما بينه العلماء حول منهج الإسلام في التداوي ودعوته إلى المعالجة ، بيد أنه يجب علينا أن نبحث عن أفضل وسائل العلاج ، مع البعد عما حرمه الله ورسوله ، ولا نقتصر على القديم وحده ، والله ﷻ هو الشافي .

---

(٩١) مثل كتاب ابن القيم : الطب النبوي ، والطب النبوي للحافظ الذهبي ط الحلبي ، الطب النفسي النبوي ــ د٠حسن محمد الشرقاوي ط دار المطبوعات الجديدة بالقاهرة .

(٩٢) النقريس : يعرف بالألم الشديد الذي يعتري إبهام الرجل أو المفاصل الصغيرة لليدين والرجلين والرسغين والمرفقين ، والألم يزداد ليلا ويخفف نهارا ويبقى على مدة ١٤ يوما فتزول النوبة إلا في الضعفاء ، وقد ترافقه حمى وعطش ــ دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج١٠ص٣٤٧ ط دار المعرفة ببيروت .

(٩٣) راجع تفسير البيضاوي ج٤/١٨٩-١٩٠ .

سادسا : نماذج من مشاهير الطب والتمريض في الإسلام .

أولا : من مشاهير رجال الطب في الإسلام .

لعله من المفيد في ختام هذا البحث أن أعطي فكرة مبسطة عن بعض الشخصيات الإسلامية التي مارست الطب والصيدلة في المجتمع الإسلامي والعربي علميا وتطبيقيا ، وقد اخترت من هذه النماذج خمسة رجال هم :

١- **الحارث بن كلدة .**
٢- **علي بن سهل بن ربن الطبري .**
٣- **الرازي .**
٤- **الزهراوي .**
٥- **ابن سينا .**

(١) الحارث بن كلدة . [٩٤]

هو الحارث بن كلدة الثقفي ، وهو من قبيلة ثقيف بالطائف ، عرف بين القبائل بطبيب العرب حيث تعلم الطب بفارس في مدينة جند يسابور ، وتدرب عليه هناك ، ثم أخذ يمارس الطب بين القبائل العربية وغير العربية .

يذكر ابن أبي أصيبعة أن للحارث بن كلدة كتابا اشتمل على محاورات طبية بين الحارث وبين كسرى أنوشروان . [٩٥]

---

(٩٤) راجع : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ــ تحقيق فؤاد السيد ص٥٤ ط ١٩٥٥م ، وتاريخ الحكماء للقفطي ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .

(٩٥) ابن أبي أصيبعة ــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء الباب السابع ص١٦٧ .

وطب الحارث بن كلدة كان بمثابة الحكم والمواعظ الطبية في بعض الأحيان ، لكنه كان في أحيان أخرى يشخص المرض ويضع له العلاج ، وهذه نماذج من طب الحارث ، بعضها يقوم على الحكم والمحاورات وبعضها يقوم على التشخيص ووصف العلاج اللازم :-

لما مرض الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص بمكة ، وعاده الرسول ﷺ قال ﷺ : " **ادعو له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبب** " (٩٦) ، ولما حضر الحارث نظر إلى سعد ثم استعمل في علاجه الأسلوب النفسي والعلاج المادي ، وهذه هي طريقة الطبيب الماهر .

فأما الأسلوب النفسي ــ وهذا له أثر مهم في صحة العلاج ونفعه ــ فذلك قوله لسعد ولمن حوله : ليس عليك بأس .

وأما العلاج المادي فذلك قوله : اتخذوا له فريقة بشيء من تمر عجوة وحلبة يطبخان ، فتحساهما فبرأ . " (٩٧)

وروي أن معاوية سأل الحارث بن كلدة فقال له : ما الطب يا حارث ؟ فقال : الإزم يا أمير المؤمنين ، يعني الجوع . (٩٨)

وسأل كسرى الحارث في بعض محاوراته عن أصل الطب ؟

فأجابه الحارث بأن أصل الطب الأزم ، قال كسرى : فما الأزم ؟

قال الحارث : ضبط الشفتين والرفق باليدين . قال : أصبت .

---

(٩٦) ودعوة الرسول للحارث تدل على أمرين : الأول : أن الإسلام يدعو إلى الطب والعلاج وينادي بهما ويشجع عليهما ، والثاني : شهادة من رسول الله ﷺ للحارث بأنه عالم بالطب نظريا ومارس له عمليا .

(٩٧) ابن أبي أصيبعة ــ المرجع السابق ــ الباب السابع ص١٦١ ، والفريقة : تمر يطبخ بحلبة وتحسها تناولها ــ القاموس المحيط ج٣ .

(٩٨) راجع طبقات الأطباء لابن جلجل ص٥٤ ، ومعلوم أن الجوع وراحة المعدة يعطي الصحة للجسم ويقيه من أمراض كثيرة أساسها التخمة وتخمر الطعام بالأمعاء ...

وسأله ثانية قائلا : فما الدواء الدوي ، فأجاب الحارث بأنه إدخال الطعام على الطعام هو الذي يفني البرية ، ويهلك السباع في جوف البرية .

فلما سأل كسرى عن الجمرة التي تصطلم منها الأدواء ؟ أجاب الحارث بأنها التخمة إن بقيت في جوف قتلت ، وإن تحللت أسقمت ، قال كسرى للحارث : صدقت ...

وسأله عن الشراب ؟ فأجابه : لا تشرب صرفا [٩٩] فيورثك صداعا ويثير عليك من الأدواء أنواعا . [١٠٠]

وبمقارنة هذه الأمثلة من طب الحارث بما يقوله الطب في العصر الحديث نجد أن كلام الحارث بن كلدة صحيح ، وهذا فخر للإسلام وللعرب ، إذ في الوقت الذي كان العالم فيه بعيدا عن الطب والمعرفة الطبية كان المسلمون على علم كبير ــ بالنسبة لعصرهم ــ بالطب والعلاج .

(٢) علي بن سهل بن ربن الطبري . [١٠١]

طبيب إسلامي عاش في الفترة من ٧٧٠م_٨٥٠م ، ولد بمدينة مرو من أعمال طبرستان ، وقد درس الطب والهندسة والفلسفة ، وبعد أن أنهى التعليم والدراسة بدأ حياته العملية بالتطبيب في العراق ، لكنه لم يتخل عن البحث والدراسة والتعلم ، بل واصل البحث عن العلم وقراءة كتب الطب وبخاصة كتب الطب اليوناني الأرسطية ، وكتب الطب الهندية ، ثم

---

(٩٩) الصرف : العرق من الشراب الخالص غير الممزوج ــ عيون الأخبار ــ الباب السابع ص١٦٦ .

(١٠٠) عيون الأنباء لابن أصيبعة الباب السابع ص١٦٧ .

(١٠١) راجع في هذا : الفهرست لابن النديم الفن الثالث من المقالة السابعة ص٢٩٦ ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة ــ محمد كامل حسين ص٢٥٩-٢٩٢ ، تاريخ الحكماء للقفطي ص٢٣١ ، عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة الباب الحادي عشر ص٤١٤ ، الطب العربي ــ براون ، إدوارد ص٥٦ وما بعدها ط ١٩٦٦م .

عاد إلى طبرستان ليكون في بلاط أميرها فترة ذهب بعدها إلى الري ليقوم فيها بمهنة الطب التي كان يزاولها بالعراق .

ولعلي بن سهل جملة من المؤلفات التي تدل على اطلاعه الواسع وعلمه الوفير وبخاصة في الطب ، من هذه المؤلفات :-

١- تحفة الملوك . ٢- فردوس الحكمة .

٣- كتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير .

٤- كتاب في الأمثال والأدب على مذهب الروم والعرب .

٥- كتاب عرفان الحياة . ٦- كتاب حفظ الصحة .

٧- كتاب في الرقى . ٨- كتاب في ترتيب الأغذية .

٩- كتاب في الحجامة .

وأهم هذه الكتب " فردوس الحكمة " لاشتماله على فنون الطب والصيدلة؛ ولأنه أقدم كتاب في هذا الفن ظهر حتى ذلك العصر بهذا الشمول وذلك التفريع ، وكذلك لاعتماده على أهم وأفضل الكتب الطبية السابقة عليه والمعاصرة له ؛ ولأنه مهد الطريق ويسرها على العلماء من بعده من أمثال الرازي وابن سينا .

وقد قام هذا الكتاب على سبعة أقسام ، كل قسم منها يختص بنوع معين من أنواع الطب :-

فالأول : خصصه في توضيح بعض المصطلحات الطبية العلمية المتعلقة بالمعاني الفلسفية والمقالات والطبائع والكون والفساد .

والثاني : يتعلق بالبحث في حالات الحمل والجنين والولادة ، وتربية الأطفال ، كما يبحث في وظائف الأعضاء النفسية والبدنية ، وتدبير الفصول والأسفار .

والثالث : خاص بأنواع الأغذية ، وكيفية التغذية .

وأما الرابع : فقد ضمنه أبحاثا كثيرة ؛ ولذلك كان أكبر الأقسام ، ومن أبحاث هذا القسم : الأمراض العامة والخاصة من حيث أسبابها وكيفية علاجها ، مبتدئا برأس الإنسان ومنتهيا بقدميه .

وفي الخامس : تحدث عن المذاق والروائح والألوان .

والسادس : في المواد الطبية والسموم ، وقد أدخل في هذه المواد الحبوب والبقول والثمار واللحوم والألبان ومشتقاتها ، والأسماك والدهون، والأشربة والمربات والخل والأملاح والحلويات .

كما تحدث في هذا القسم عن الأدوية والعقاقير وإصلاح الأدوية وحفظها وفعالية الأدوية المسهلة وإصلاحها ، والأدوية المركبة ، والترياق والأقراص والأشربة والأدهان والمرهمات ، والصموغ والأصداف والدخان والرماد وقوى الأرض .

ومن أبحاث هذا القسم تشريحه للحيوانات من حيث منافع أعضائها ، كما تحدث عن السموم وأنواعها وعلاماتها وعلاجها .

وأما القسم السابع والأخير من الكتاب : جعله للحديث عن البلدان والمياه والرياح والأفلاك والكواكب .

ومن خلال عرض موضوعات هذا الكتاب نجده كتابا شاملا لكل ما يتعلق بالإنسان من أمراض وطرق علاجها ، وأدوية وتركيبها ، فكان بحق كتابا وافيا ونافعا لأهل عصره ولمن أتى بعدهم ، وهذا يدل على ما حظي به الإسلام من علماء متقنين في الطب القديم .

(٣) الرازي . [١٠٢]

هو أبو بكر بن زكريا الرازي ، عاش في الفترة ما بين ٢٤٠-٣٢٠هـ وكان ميلاده ومنشؤه بالري من بلاد فارس .

ويعد الرازي من أشهر الأطباء في عصره ، ذاعت شهرته الطبية في أوربا ، كما كانت في البلاد الإسلامية ، ودرست كتبه في أوربا ، كما درست في بلاد الإسلام ، وشهد له علماء المسلمين وأوربا بالتفوق والنبوغ في الطب .

فيقول ابن النديم فيه : " كان أوحد دهره وفريد عصره ، قد جمع بين المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب . " [١٠٣]

ويقول ابن أبي أصيبعة : " كان الرازي ذكيا فطنا رؤوفا بالمرضى ، مجتهدا في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظبا للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها . " [١٠٤]

أما ابن خلكان فيقول عنه : " كان الرازي إمام وقته في علم الطب وكان متقنا لهذه الصناعة ، حاذقا بها ، عارفا أوضاعها وقوانينها ، تشد إليه الرحال لأخذها عنه . " [١٠٥]

أما الأجانب فيقول عنه أحدهم : " أشهر أطباء هذه الأسرة الرحيمة ــ أي الأسرة الطبية ــ على بكرة أبيها هو أبو بكر محمد الرازي ... ومن

---

(١٠٢) راجع في هذا : الفهرس لابن النديم ، عيون الأنباء لابن أصيبعة ، طبقات الأطباء لابن جلجل ، تاريخ الحكماء للقفطي ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ــ د محمد كامل حسين .

(١٠٣) راجع الفهرست لابن النديم ص٢٩٩ ط مكتبة خياط لبنان .

(١٠٤) عيون الأنباء الباب الحادي عشر ص٤١٦ .

(١٠٥) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان ج٥/ث١٥٨ ط دار صادر بيروت .

أشهر كتبه الحاوي ، وهو كتاب في عشرين مجلدا ، ويبحث في كل فروع من فروع الطب ... ولقد ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة ، وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض ، وكان من الكتب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام ١٣٩٤م وكانت رسالته في الجدري والحصبة آية في الملاحظة المباشرة ، والتحليل الدقيق ، كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية ، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين ، وفي وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر ، واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي ١٣٩٨-١٨٦٦م.(١٠٦)

ويظهر تفوق الرازي الطبي في ناحية الطب التشخيصي أو ما يسمى بالطب الإكلينيكي وبخاصة التشخيص المقارن الذي هو نوعان ، وقد تفوق في كليهما :

النوع الأول : أن يتناول علامة من العلامات المرضية ، ثم يبحث في أسبابها وكيفية التفريق بين الأسباب المختلفة .

والنوع الثاني : أن يتناول أمراض متشابهة ، ويقارن بين علامات كل منها مقارنة توضح ما يجب الأخذ به عند التشخيص . " (١٠٧)

ومن الاختراعات والاكتشافات الطبية التي ظهرت على يد الرازي اكتشافه طرقا جديدة في العلاج ، كاستعمال مرهم الزئبق ، واستخدام أمعاء الحيوان في التقطيب . " (١٠٨)

---

(١٠٦) ول ديورانت ــ قصة الحضارة ج٢ مجلد ٤ ص١٩١ ط نسخة الجامعة العربية .

(١٠٧) راجع الطب والأطباء ــ د٠ محمود دياب ص١٩٢ .

(١٠٨) قصة الحضارة ــ ول ديورانت ج٢ مجلد٤ / ١٩١ .

ونستطيع أن ندرك مدى عظمة الرازي الطبية ، ومدى نبوغه وتفوقه في فروع الطب المختلفة ، من عرض كتبه في هذا المجال ، ومعرفة موضوعاتها ، فمن كتب الرازي في المجالات الطبية :-

١- كتاب الحاوي . (١٠٩)

٢- كتاب المنصوري وهو في التشريح .

٣- كتاب في الأدوية الموجودة في كل مكان .

٤- كتاب الطب السلوكي في العلل وعلاج الأمراض كلها بالأغذية .

٥- كتاب في القوة .

٦- كتاب في هيئة العين ، وهيئة الكبد ، وهيئة القلب .

٧- كتاب الذخر في الطب .

٨- كتاب الجامع ، ويسمى : خاطر صناعة الطب .

٩- كتاب في الأمراض .

١٠- كتاب من لا يحضره الطبيب ، ويعرف بطب الفقراء .

١١- كتاب محنة الطبيب .

---

(١٠٩) ويعد كتاب الحاوي من أشهر كتب الطب ، ويحتوي على عدة فصول وموضوعات هامة، منها الأعصاب وعلاجها ، علل الدماغ والنخاع ، الفالج ، الشلل الذي يصيب أحد شقي الجسم، اللقوة ــ الداء الذي يعرض للوجه يعوج منه الشدق ، الصداع ، التشنج والتمدد ، أمراض الكلى وعلاجها ، الحصى والتحرز منها ، علاج أمراض مجاري البول ، صنوف البول ، وحرقته وعسر خروجه ، أمراض الصدر والرئة ، أمراض الأذن والحنجرة ، الحميات ، أمراض الهضم، الجدري والحصبة ، القلب والنبض ، والكبد والطحال ، والحدبة وأمراض الثدي، الحمل والولادة، أمراض الرحم ... إلى غير ذلك من الموضوعات ، والتي تبين أن طب الرازي يشمل الإنسان بكامله ، ويكاد يكون كتاب الحاوي شاملا لجميع أمراض العصر ، وهذا مما يدل على عظمة الأطباء المسلمين ، وعلى تقدم الطب الإسلامي في القديم .. (هذا التحليل مأخوذ من كتاب" طب الرازي دراسة وتحليل لكتاب الحاوي " شرح وتعليق د٠محمد كامل حسين وآخرين ، وحول هذا أيضا راجع : الفهرست لابن النديم ، وطبقات الحكماء لابن جلجل .

كما أن للرازي بحوثا ورسائل في الحصبة والجدري ، والكلى والمثانة وأمراض النساء والولادة ، والأمراض التناسلية ، وأمراض العيون .
كما تحدث عن بعض الأمراض التي قد ينظر إليها في عصرنا الحاضر على أنها أمراض الترف والرفاهية ، وهي أمراض الأظافر من حيث تشققها وصفرتها وورمها وموت الدم تحتها وقلعها ، والأصابع الزائدة والملتصقة .
ومن استعراض موضوعات هذه الكتب والرسائل والأبحاث يتبين لنا أن الرازي كان نابغة في معظم فروع الطب من أمراض وتشريح وعلاج وأدوية .

(٤) الزهراوي . (١١٠)

وهو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي ، ولد في أوائل القرن العاشر الميلادي ، ويقال إنه كان طبيب الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي كان حاكما للأندلس ما بين ٩١٢ــ٩٦١م .
برع الزهراوي في الجراحة الطبية ، بل إنه يعد من أشهر جراحي العرب إذ رفع شأن الجراحة وسما بها ، مجددا في هذه الصناعة ، ومبتكرا في هذا الفن الطبي المهم ، وقد كان من مبتكراته ربط الشرايين لمنع النزيف الدموي .
والزهراوي من أشهر المؤلفين في الجراحة الطبية ، وله موسوعة فيها وفي الأدوية سماها : " التصريف لمن عجز عن التأليف " ويقع هذا الكتاب في ثلاثين مقالة ، وقسمه قسمين :ـ

(١١٠) راجع في هذا : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة الباب الثالث عشر ص٥٠١ ، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ــ د٠محمد كامل حسين ص٢٦٢،٤٠٨ ، الطب والأطباء ــ د٠ محمود دياب .

القسم الأول : ويبحث في الأدوية من حيث تركيبها وفوائدها والأمـراض الباطنية العامة .

وأما القسم الثاني : فقد خصصه للجراحة حيث **الباب الأول** منه يختـص بالكي ، ويمتاز هذا الباب بكثرة الرسوم والشروح والتوضيحات .

والباب الثاني : ويبحث في الشق والبسيط والفصد ، وفي هـذا البـاب وصف لعمليات استخراج الحصاة من المثانة عن طريق الشق والتفتيت ، كما يتحدث الزهراوي في هذا الباب عن حالات الغنغرينا [١١١] ومعالجـة الحالات الصديدية .

والباب الثالث : خصصه الزهراوي للحديث عن الكسور وخلع المفاصل، وقد وضع الزهراوي وصفا دقيقا للشلل الناشئ عن كسر فقرات الظهر ، كما تحدث عن كسر الحوض ، وعن تعليم القوابل ، وإخـراج الجنيـن الميت .

وعموما فهذا الكتاب يبحث في : الاستقصاب والأمزجة وتركيب الأدوية وتقاسيم الأمراض وعلاماتها ، والإشارة إلى علاجها ، وصناعة الترياق الكبير وسائر الترياقات والأدوية المفردة في جميع السموم .

وفي مقالات هذا الكتاب حديث مفصل عن صفات الأدوية المسهلة المرة، ولذيد الطعم المألوفة والمضمونة ، وأدوية القيئ والحقن وأدوية القلـب ، والأدوية المسخنة للأبدان والمهزلة لها والمدرة للألبان .

كما تحدثت مقالات الكتاب عن المطبوخات والتقويمات المسـهلة وغـير المسهلة ، والسفوفات والأقراص المسهلة وغير المسهلة ، والسـعوطات والقطورات والبخورات .

---

(١١١) الغنغرينا : موت النسيج وتعفنه ، وتحدث عادة في الأطراف ــ راجع الموسوعة الطبية الحديثة ج١٠ /١٤٨٤ .

وبهذا الكتاب بيان عن أدوية الصدر ، والسعال والضمادات لجميع علل الجسم مبتدئا بالرأس في الإنسان ومنتهيا بالقدمين ، وقد وضع في هذا الكتاب تفصيلا عن أطعمة المرضى والأصحاء وطبائع الأدوية والأغذية وإصلاحها .

كما اهتم بالكي والشق والجبر والخلع ، وكان متشعبا لعملية الكي فأفرد لها في كتابه هذا جزءا كبيرا ورسم أشكالا متعددة لآلات الكي مبينا استعمالات كل منها مفضلا استعمال الحديد على الذهب في هذه الآلات ؛ لأن الذهب يمنع من معرفة درجة الحرارة ، وقد استعمل الزهراوي الكي في إيقاف النزيف واستئصال السرطان [١١٢] كما استعمله في تثبيت المفصل المخلوع.

وللزهراوي نشاط لا يستهان به فلي طب العيون ، فقد كان يعالج الشعرة في العين عن طريق الكي بالنار أو بدواء محرق أو القطع أو الخياطة .

هذا ، وقد ترجم كتابه ' **التصريف لمن عجز عن التأليف** ' إلى اللاتينية عدة مرات حتى بلغت خمس مرات [١١٣] ، وظل المرجع في الجراحة مدى خمسة قرون ، إذ كان أول كتاب في تاريخ الجراحة ، وكان مشتملا على صور لآلات الجراحة بما يزيد على مائتي صورة .

---

(١١٢) راجع الطب والأطباء ــ د٠ محمود دياب ص٢٥٠ .

(١١٣) المرجع السابق .

(٥) ابن سينا . [١١٤]

هو أبو علي الحسين عبد الله بن سينا ، عاش في الفترة ما بين ٣٧١-٤٢٩هـ ، تعلم الطب من غير مدرس ، وبرع في الطب منذ نشأته ، حتى أنه كان يعالج المرضى وهو شاب ، وقد عالج نوح بن منصور أمير بخارى وهو ابن سبع عشرة سنة . [١١٥]

ولابن سينا ابتكارات مهمة ــ أشاد بها المختصون ــ في أمراض النساء، والنواسير البولية ، وحمى النفاس ، والعقم ، وأسباب الذكورة والأنوثة في الجنين ، وحالات الانسداد المهبلي ، والإسقاط والأورام الليفية ، وجراحة الرتقاء من النساء . [١١٦]

ولابن سينا مؤلفات كثيرة ومتنوعة في الطب ، لكن أهمها كتابه " القانون " الذي ترجم وطبع باللاتينية عدة مرات أوصلها بعض الكتاب إلى العشرين [١١٧] وأصبح هو المرجع الطبي الذي يعتمد عليه في دراسة الطب في مدارس أوربا ، وجامعات مونبليه ولوفان حتى أواسط القرن السابع عشر . [١١٨]

---

(١١٤) راجع في هذا : القفطي في تاريخ الحكماء ص٤١٣ ، عيون الأبناء الباب الحادي عشر، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة ــ د٠محمد كامل حسين وآخرون .

(١١٥) قصة الحضارة ج٢مجلد٤ ص١٩٢٤ ، ويرى القفطي أنه كان ابن ست عشرة سنة .

(١١٦) الموجز في الطب ــ د٠محمد كامل حسين وآخرون ص٤٠٧ .

(١١٧) هذا ما ذكره أصحاب كتاب الموجز ، أما د٠محمود دياب في الطب والأطباء فيرى أنها خمس عشرة مرة في خلال الثلاثين سنة التي ختمت القرن الخامس عشر الميلادي ص٢١٥ .

(١١٨) راجع قصة الحضارة ــ ول ديورانت ج٢مجلد٤ ص١٩٦ .

وهذا الكتاب ينقسم إلى خمس كتب :-

الأول : في الأمور الكلية في علم الطب .

والثاني : في الأدوية المفردة .

والثالث : في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ، وقد تحدث عن كل عضو على حدة ، وابتدأ بالرأس وانتهى بالقدمين .

الرابع : يختص بالأمراض الجزئية التي تشمل الجسم كله إذا وقعت بالإنسان ، وذلك مثل الحميات .

الخامس : يتعلق بتركيب الأدوية .

وقد ابتدأ ابن سينا بالتشريح ، ثم بعلم وظائف الأعضاء ، ثم بعلم العقاقير، الأدوية وفائدتها ، ثم بعلم الأمراض في كل عضو على حدة .

ثم يتحدث الكتاب ــ بعد ذلك ــ في الأمراض من حيث أسبابها وأوقاتها، وأثر الفصول والهواء الجيد والمساكن ، ثم أسباب العوارض البدنية ، كما تحدث عن العلاجات في قول كلي ذكر فيه علاج الإسهال والقيئ ، وتحدث عن الحقنة والفصد والحجامة ، ومعالجة البرد والأورام ، وفي فصل صغير يتحدث الكتاب عن أي المعالجات يبدأ بها المعالج ، فلو اجتمع الورم والقرحة في إنسان فعلى المعالج أن يبدأ أولا بالورم .

ويلي هذا البحث في أمراض الجسم ابتداء بالرأس ، فيذكر تشريحه ، ثم يتحدث عن أمراض الرأس ودلائل الأمراض .

وفي الكتاب تفصيل لأصناف الصداع ، والتي منها الصـــداع البحرانـــي الذي يعرض عند اشتداد الأمراض الحادة وقرب زوالها .

وفي الكتاب فصل يعد من مفاخر الطب العربي وهو السرسام الحاد ، أي التهاب أغشية المخ الحادة بما ليس بعده زيادة لمستزيد .» (١١٩)

وهناك فصول أخرى تبحث في اختلاط الذهن والهذيان والرعونة والحمق وفساد التخيل والعشق والصرع والسكتة وأمراض الأعصـــاب ، وشـــلل الوجه .

ولابن سينا أحاديث أخرى عن أمراض الرئة والكبد وأمراض الأذن .

وباستعراض موضوعات هذا الكتاب يتبين لنا أن ابن سينا قـــد تطـــرق لغالبية الأمراض في عصرنا الحـــاضر ، ممـــا يؤكـــد عظمـــة الطـــب الإسلامي، وفضل المسلمين طبيا على العالم قديما وحديثا ، إذ لولا طبـــهم قديما لما وصلت الأبحاث الطبية في عصرنا الحاضر إلى مـــا وصلـــت إليه من تقدم وازدهار .

(١١٩) الطب والأطباء ــ د ٠محمود دياب ص٢٢٠ .

ثانيا : ممرضات في الإسلام.

من خلال ما عرض من نماذج للأطباء تبين لنا مدى فضل الإسلام على العالم قديمه وحديثه ، ولما كانت مهنة التمريض شطر الطب نجد أن المرأة المسلمة قد ساهمت بدورها الطيب في هذه المهنة منذ فجر الإسلام وفي هذا المجال أشير إلى أن التمريض في ذلك العهد لم يكن كما هو الآن من حيث التقدم العلمي والتطبيقي ، لكنه على أية حال كان أمرا مهما في عصرهم ، وكان عملا شريفا تتسابق النساء على أدائه ، فكانت المرأة تذهب إلى رسول الله ﷺ تستأذن في الخروج مع المسلمين الذاهبين إلى المعركة لتقوم بمداواة الجرحى والمرضى وسقي الماء ، ومن يأذن لها بالخروج كانت تعتبر ذلك شرفا عظيما خصها به الرسول ﷺ .

وهذه نماذج من سيرة بعض المسلمات اللائي كن يقمن بمداواة الجرحى ومراعاة المرضى :-

(١) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية .

امرأة فاضلة ، مسلمة وصحابية ، اشتركت مع الرسول ﷺ في بعض غزواته ، فكانت تداوي الجرحى والمرضى ، وترد القتلى إلى المدينة .

روى البخاري والنسائي وأبو مسلم الكجي من طريق بشر بن الفضل عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت : " كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ونسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة . " (١٢٠)

بايعت النبي ﷺ تحت الشجرة . (١٢١)

---

(١٢٠) أخرجه أحمد في مسنده عن الربيع بنت معوذ ج٦/٣٥٨ ط المكتب الإسلامي .

(١٢١) راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص٢٥٤-٢٥٥ ط٤ ، وحياة محمد ﷺ ـ د٠محمد حسين هيكل ص٣٧٢ ط١٣ .

وكانت من رواة الأحاديث ، وقد روت عن رسول الله ﷺ واحدا وعشرين حديثا . "[١٢٢]

(٢) رفيدة الأسلمية .

سيدة فاضلة ، اشتركت مع المسلمين في الجهاد حيث كانت تقوم بمداواة الجرحى والمرضى ، كما كانت تقوم بخدمة من كانت به ضيعة ـ أي فقر وحاجة ـ من المسلمين .

ذكرها ابن إسحاق في قصة سعد بن معاذ ﷺ حين أصيب في غزوة الخندق ، فقال رسول الله ﷺ : " **اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب .** "[١٢٣]

وقال البخاري في الأدب المفرد : " لما أصيب سعد يوم الخندق فقيل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى . "[١٢٤]

(٣) أم سليم بنت ملحان بن خالد .

مجاهدة جليلة ، اشتهرت بعقلها الراجح ورأيها الصائب ، كانت من المسلمات السابقات إلى الإسلام ، وكانت فاهمة لدينها عارفة بأسسه ومبادئه فساعدها هذا على الاستفادة من رجاحة عقلها في جذب رجل إلى الإسلام ، حيث خطبها أبو طلحة وهو مشرك فرفضت الزواج منه وقالت له : يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده هو حجر لا يضرك ولا ينفعك أو خشبة يأتي بها النجار فينجرها لك ؟ هل يضرك ؟ هل ينفعك ؟

---

(١٢٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني القسم الرابع ص٦٤١ ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج١٨٣٧/٤ .

(١٢٣) ذكره ابن حجر في الفتح ج٤١٢/٧ ط دار المعرفة .

(١٢٤) حول هذا الموضوع راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤٢٤/٨-٤٢٥ ، والاستيعاب ج١٩٤٠/٤ ، والإصابة القسم الثالث ص٢٢٧ .

أفلا تستحي من عبادتك هذه ؟ فإن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غير إسلامك ، فوقع الإسلام في قلب أبي طلحة ونطق بالشهادتين ثم تزوجها . شهدت ــ رضي الله عنها ــ غزوة أحد واشتركت مع المسلمين في هذه المعركة وقامت بمداواة الجرحى والمرضى وسقي العطشى .

وفي غزوة حنين خرجت أم سليم مع المسلمين ــ وكانت حاملا بعبد الله ابن أبي طلحة ــ فحزمت خنجرها على وسطها ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقالت أم سليم : يا رسول الله أتخذ ذلك الخنجر إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه ، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن . "(١٢٥)

(٤) أم سنان الأسلمية .

وهي من المجاهدات الفاضلات ، جاءت إلى رسول الله ﷺ حين عزم على الخروج إلى خيبر لقتال اليهود بسبب غدرهم ، فقالت له : أخرج معك في وجهك هذا أخرز السقاء وأداوي الجرحى والمرضى إن كانت بهم جراح .. فقال رسول الله ﷺ : **أخرجي على بركة الله تعالى ، فإن لك صواحب قد كلمنني ، وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت معنا** " فقالت أم سنان : معك ، فقال رسول الله ﷺ : **تكونين مع أم سلمة زوجي** " فكانت معها وشهدت فتح خيبر . "(١٢٦)

---

(١٢٥) حول هذا الموضوع راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨/٤٢٤-٤٢٥ ، والاستيعاب ج٤/١٩٤٠ ، والإصابة القسم الثالث ص٢٢٧ .

(١٢٦)حول هذا الموضوع أيضا ارجع إلى المراجع السابقة : الطبقات ج٨/ ٢٩٢ ، والاستيعاب ج٤/١٩٤٨ ، والإصابة القسم الثالث ص ٣٦٥ .

(٥) نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية .

مسلمة كريمة وصحابية جليلة لها باع كبير في الجهاد في سبيل الله ، اشتهرت بالصلاح وقوة الدين ، وحسن الاعتماد على النفس .

أسلمت قديما ، وحضرت ليلة العقبة ، وبايعت مع القوم ، كما شهدت بيعة الرضوان ، واشتركت مع المسلمين في غزوة أحد ، والحديبية ، وخيبر ، وحنين ، ويوم اليمامة .

في غزوة أحد خرجت مع زوجها وابنيها إلى الجهاد ، واشتركت مع المسلمين في هذه المعركة من أول النهار ، فكانت تسقي الجرحى وتداوي جراحهم ، وقد خرجت في هذه المعركة بثلاثة عشر جرحا بين طعنة برمح وضربة بسيف .

تقول أم عمارة ــ نسيبة ــ عن غزوة أحد : انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا نفر ما يتممون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عن رسول الله ﷺ والناس يمرون منهزمين ، ورآني رسول الله ﷺ لا ترس لي معي فرأى رجلا مليا معه ترس ، فقال لصاحب الترس : ألق ترسك إلى من يقاتل ، فألقى ترسه فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله ، فأقبل رجل على فرس فضربني وتترست له فلم يصنع سيفه شيئا ، وولى فضربت عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي ﷺ يصيح : **يا ابن أم عمارة أمك** ، قالت فعاونني عليه . " (١٢٧)

(١٢٧) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨/٤١٤ .

واستمرت أم عمارة تجاهد وتقاتل وتدافع عن رسول الله ﷺ وتداوي الجرحى وتسقي العطشى حتى ناداها رسول الله ﷺ يخبرها بأن ابنها عبيد بن زيد قد جرح ودمه يسيل منه ، وعليها أن تعصب جرحه ، فتنبهت إلى ابنها ــ وكانت لاهية عنه بالقتال ــ وأقبلت عليه ومعها عصائب على حقويها قد أعدتها لربط جراح الجنود إذا جرح أحدهم ، فأخذت منها وربطت جرح ابنها ، ولما ربطت جراح ابنها قالت له : بني انهض فضارب القوم ، وينظر رسول الله ﷺ إلى أم عمارة وهي تقاتل وتداوي جراح ابنها ثم تدفعه للجهاد وللقتال فيكبر منها هذا العمل ويقول : " **ومن يطيق ما تطيق أم عمارة .** "

وما انتهت غزوة أحد إلا ونسيبة بنت كعب قد جرحت ثلاثة عشر جرحا. كما شهدت السيدة نسيبة قتال مسيلمة الكذاب باليمامة ، وذلك لما تهيأ بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت إلى أبي بكر ﷺ فاستأذنته للخروج ، فقال : قد عرفنا جراءك في الحرب فاخرجي على اسم الله ، وقد جاهدت نسيبة باليمامة جهادا طيبا ، وخرجت من المعركة بأحد عشر جرحا ، وقطعت يدها ، وفي ذات المعركة قتل ابنها حبيب بن زيد بن عاصم ، حيث قطعه مسيلمة قطعا . (١٢٨)

ومع جهادها المشرف ومداواتها للجرحى كانت داعية وراوية للأحاديث النبوية الشريفة .(١٢٩)

رضي الله عنها وأرضاها ، وجعلها مثلا أعلى لنساء المؤمنين في عصرنا الحاضر .. آمين .

---

(١٢٨) راجع الطبقات الكبرى ج٨/٤١٦ .

(١٢٩) الاستيعاب ج٤/١٩٤٨ ، الإصابة ــ القسم الثاني ص١٦٥ .

(٦) أمية بنت قيس الغفارية .

فتاة مسلمة من فتيات الإسلام ، أسلمت بعد الهجرة ، وشهدت مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر ، تقول ــ رضي الله عنها ــ : جئت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا : إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا ــ تعني خيبر ــ فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال رسول الله ﷺ : على بركة الله ، قالت أمية : فخرجنا معه وكنت جارية حديثة السن . (١٣٠)

(٧) أم ورقة .

هي بنت عبد الله بن الحارث ، أسلمت قديما وبايعت رسول الله ﷺ بيعة العقبة والشجرة ، كانت ذات صلاح وتقوى ، وروت الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، وقرأت القرآن كله ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، وقد استأذنت رسول الله ﷺ في غزوة بدر لمداواة المرضى والجرحى ، فقالت له : تأذن لي فأخرج أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي لي الشهادة ، فقال لها النبي ﷺ : " **إن الله مهد لك شهادة** ، فكان يسميها الشهيدة . (١٣١)

وقد خرجت وقامت بدورها رضي الله عنها .

(٨) حمنة بنت جحش .

وهي أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ ، حضرت غزوة أحد ، وكانت تسقي العطشى وتداوي المرضى والجرحى رضي الله عنها .

---

(١٣٠) الطبقات الكبرى ج٨/٢٩٣ ، الإصابة ــ القسم السابع ص٥١٨ .

(١٣١) الطبقات الكبرى ج٨/٤٥٧ ، والرواية ذكرها البيهقي في السنن الكبرى ج٣/١٣٠ باب إثبات إمامة المرأة عن أم ورقة ط دار المعرفة .

وبعد :-

فقد كانت هذه بعض نماذج للمرضات في الإسلام اتضح لنا من خلالها أن المرأة المسلمة التي كانت تداوي الجرحى والمرضى في السلم أو الحرب كانت امرأة ملتزمة بمبادئ الإسلام وأسسه قولا وعملا ، إذ كانت تلك النسوة على تقى وصلاح ودين قوي ، وعقيدة راسخة ، يعبدن الله ويؤدين ما عليهن من فرائض وواجبات ... وكن يذهبن مع المسلمين إلى المعركة غير متبرجات ولا مزينات ، ولم تعمد إحداهن إلى إظهار مفاتنها وجمالها، بل كن يداوين الجرحى والمرضى وهن ملتزمات بآداب الشرع في ملابسهن وأعمالهن وأقوالهن ، ويا ليت الممرضات المسلمات اليوم يقتدين بهن .